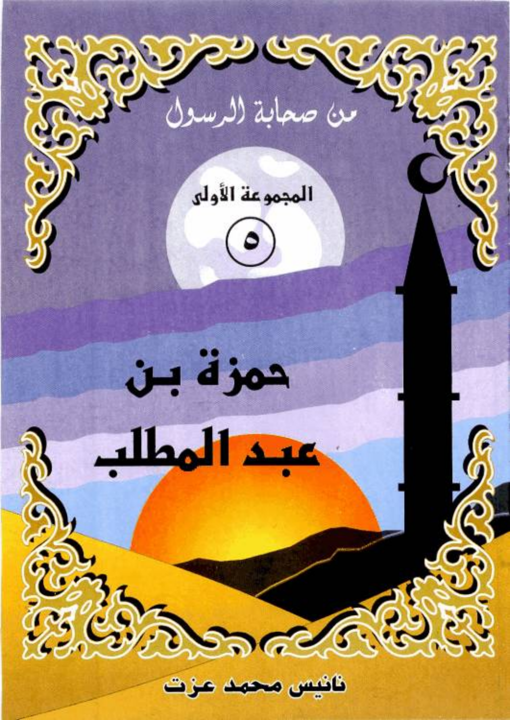


من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
٥
حمزة بن
عبد المطلب
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٥

حمزة بن عبد المطلب

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

حمزة بن عبد المطلب

انتهتْ فُسحَةُ السّاعَةِ العاشِرَة ، ودخلَ المُدرِّسُ الفَصل ، فوجد بينَ التّلاميذِ من تقطّعتْ ملابسُه ، ومَن أُصيبَ فى وَجهِه ، ومَن يَنزِفُ دَمُه ، فتعجَّبَ وسألهم :

ـ ماذا حدَثَ لكم ؟ هل قامَتِ الحَربُ العالَمِيَّةُ الثّالِثَة ؟

سكتَ كلُّ التّلاميذِ ولم يَنطِقْ منهم أَحَد .

قالَ المُدرِّس : فليَقُلْ لى واحِدٌ مِنكُم ما الّذى أصابَكُم ؟

وقفَ أَحمَدُ فى مَكانِه ، وقال : كُنّا نَلعَبُ فيما بَيننا مُباراةً فى كُرَةِ القَدَم ، وأحرزَ فريقُنا هدَفًا صَحيحًا لم يَعتَرِف بِه الفَريقُ المُنافِس ، وتَطوَّرَ المَوقِف ، فلَطَمَ مَحمودٌ سامِحًا ، وردَّ سامِحُ اللّطمةَ لمَحمودٍ عَمَلاً بمَبدإِ العَينِ بالعَينِ والسِّنِّ بالسِّنّ ، ولم نَلبَثْ أن اشْتَركْنا

جَميعًا فى المَعرَكَة .

غضِبَ المُدرِّسُ وقال : ما شاءَ اللّه ! .. العَينُ بالعَينِ والسِّنُّ بالسِّنّ ؟ .. ألَمْ تسمَعوا الآيةَ الّتى يَقولُ فيها اللّهُ سُبحانَه : ﴿ وإنْ عاقَبتُم فَعاقِبوا بِمثْلِ ما عوقِبتُم بِه ، ولَئِن صَبرتُم لَهُوَ خَيرٌ للصّابرين ؟ ﴾ .. ألَمْ تَعلَموا أنَّ اللّهَ أمَرَ بالعَفوِ عِندَ المَقدِرَة ، وكانَ رَسولُنا صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّمَ خيرَ مِثالٍ لِلعَفْوِ عِندَ المَقدِرَة ، فقالَ يومَ فَتحِ مَكّةَ لِلقُرَشيِّينَ الّذينَ طالَما أَذاقوا المُسلِمينَ أَشدَّ أَلوانِ العَذاب : ماذا تَظُنّونَ أنّى فاعِلٌ بكُم ؟ قالوا : أخٌ كَريمٌ وابنُ أخٍ كَريم . قال : اذْهَبوا فأَنتُمُ الطُّلَقاء .

أطرقَ التّلاميذُ برُءوسِهم خَجَلا ، وقالوا : نَحنُ مُتَأَسِّفون ، ولَن نَفعَلَ ذلك مرَّةً أُخرَى .

قالَ المُدرِّس : وكانَ للنّبيِّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، مَوقِفٌ آخَرُ يَدلُّ على سَماحَتِه وخُلقِهِ الكَريم ، فقَد

عَفا عن كُلٍّ من وحْشِيٍّ وهِندِ بنتِ عُتْبَة .

سأَلَ مَحمود : وماذا كانَ مِنْهُما ؟ وكيفَ عَفا عَنهمُا الرَّسولُ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ؟

قالَ المُدرِّس : قَتلَ وحشِيٌّ بحَربَتِهِ حَمزَةَ بنَ عَبدِ المُطَّلِب ، عَمَّ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، وحرَّضَتْهُ على قَتلِهِ هِندُ بنتُ عُتْبَة . وعَفا عَنْهُما النَّبيُّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، بعدَ أنْ أعْلَنا إسْلامَهُما ، لأَنَّ الإسْلامَ يَجُبُّ ، أى يَقطَعُ ويَمحو ، ما كانَ قَبلَه .

قالَ سَيف : هَلاَّ قَصصْتَ علَينا قِصَّتَهُما يا أُسْتاذَنا ؟

قالَ المُدرِّس : نَعم سأَقُصُّها عَليكُم ولو أَنّى غاضِبٌ مِنكُم ، عَسَى أن تَتعَلَّموا مِنها بعضَ الصِّفاتِ الحَميدةِ الَّتى تُفيدُكم فى حَياتِكُم .

كانَ حَمزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلبِ ، عمَّ النَّبىَّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، وكانَ الاثْنان مُتقارِبَيْنِ فى السِّنِّ ، وكانَ حَمزَةُ أخا النَّبيِّ فى الرَّضاعَة ، فنَشآ

مَعا ، ولَعِبـا مَعـا ، وتآخَيـا مَعـا . وكـانَ حَمـزةُ شَـديدَ الحُبِّ لابنِ أَخيهِ مُحمَّدٍ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَـلَّم ، ولَكـنَّ ذلك الحُبَّ مَهْما عَظُم ، لم يَكن كافِيًا لأن يَجعَلَ حَمـزَةَ يَتْركُ دينَ آبائِهِ الّذى نَشأَ عَلَيْه ، فَعلَى الرّغـمِ مـن ثِقَتِـهِ بصدْقِ ابنِ أَخيهِ وأَمانَتِه ، إلاّ أنّها العَقيدَةُ الّتى يَدينُ بها ومنَ الصَّعبِ أنْ يُفَرِّطَ فيها . فكانَ يَستَمِعُ إلى ما يَقولُـهُ سادَةُ قُرَيْشٍ فى مُحمَّد ، ويَعجَبُ لَمخاوِفِهم مـنَ انْتِشـار الدِّينِ الجَديد .

إلى أنْ كانَ يَـومٌ خَـرجَ فيـهِ حَمـزَةُ لِلصَّيْـد ، ولَـدَى عَودَتِهِ ذَهب لِيَطـوفَ بالكَعبَـةِ أوَّلا ، كعادَتِـهِ كُـلَّ يَـومٍ قَبلَ ذَهابِهِ إلى بَيتِه ، فقابَلَتْه خادِمٌ لعَبدِ اللّهِ بنِ جُدْعـان، وقصّتْ عَليهِ ما لَقِيَهُ مُحمَّدٌ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم علـى يَدِ الحَكمِ بنِ هِشام (أَبى جَهْل) ، وكيفَ أنَّ أبا جَهـلٍ سَبَّه وآذاه . فـأخَذَتِ النَّخـوَةُ حَمــزَة ، ودَفعَـهُ حُبُّـهُ

لصَديقِ طُفولَتِه ، أن يَتوَجَّهَ إلى حيثُ جلَس أبو جَهلٍ بَينَ جَماعَةٍ من سادَةِ قُرَيش ، فهوَى عَليهِ بقَوسِهِ فأَدماه ، مِمّا أصابَ أبا جَهلٍ بالدَّهشَةِ الشَّديدَة ، ولكنَّ ما قالَه حَمزَةُ بعدَ ذلِكَ كانَ أشَدَّ وَطأَةٍ عَليهِ من ضَرْبَةِ القَوْس ، إذْ قالَ له :

ـ أتَسُبُّ مُحمَّدًا وأنا على دينِه ، أقولُ ما يَقول ؟ ، رُدَّ عَليّ ضَرْبي إياكَ إن استَطَعْت .

وعَقدتِ الدَّهشَةُ لِسانَ كلِّ الحاضِرين ، فإسلامُ حَمزةَ يَعْني إسلامَ الكَثيرينَ من سادَةِ قُرَيْش ، مِمّا يُعزِّزُ قُوَّةَ مُحمَّدٍ ويُقوّي انْتِصارَه علَى أعْدائه .

قالَ سامِح : أأعلَنَ حَمزَةُ إسْلامَهُ ولم يَخَفْ بَطشَ قُرَيْشٍ به ؟

قالَ المُدرِّس : كانَ حَمزَةُ شُجاعًا قَويًا لا يَهابُ أحَدا ، كما كانَ لَه بين السّادَةِ مَكانَةٌ تَمنَعُهُم من إلحاقِ

الأَذَى به ، وإنْ لم تَصِلْ تلكَ المكانةُ إلى أن تَدفَعَ الأَذَى عَنْ باقي المُسلِمين .

واستَمرَّ المدرِّسُ يُكمِلُ قِصَّةَ حَمزَة : وكما جاءَ حَمزَةُ مَرفوعَ الرَّأس ، ذهب مَرفوعَ الرَّأسِ لا يَخْشَى بَأسَهم حينَ أَعلَنَ إسْلامَه .

وخلاَ حمزةُ بنَفسِهِ يُفكِّر فيما حَدَث ، وكيفَ تَخَلَّى عن دينِ آبائِه في لَحظَةِ انْفِعالِه ، ونَدِمَ عَمَّا فَعَل . ولكِنْ هَداهُ عَقلُهُ الواعي المُستَنيرُ إلى أنْ يَتضَرَّعَ إلَى اللّهِ سُبحَانَه ، أن يُرشِدَهُ إلَى الطَّريقِ الصَّحيح .

وذهبَ حَمزَةُ إلى مُحمَّدٍ يُبُثُّهُ شَكواه ، وأَخبَرَه بكلِّ ما يَجولُ بخاطِره ، فدَعا له صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم اللّهَ أن يُثبِّتَ قَلبَهُ على الإيمانِ الصَّادِق .

واسْتَجابَ اللّهُ لدُعاءِ نَبِيِّه ، فكانَ إسْلامُ حَمزَةَ عن يَقينٍ واعٍ ، وقلبٍ يَنبضُ بحُبِّ اللّه .

سألَ أحْمد : وماذا كانَ مَوقِفُ قُرَيْشٍ من حَمزَة ؟

قالَ المُدرِّس : كانَ إسْلامُ حمزَةَ لَطمَةً أصابتْ قُرَيشًا، أَعقبَتْها لَطمَةٌ أُخـرَى بإسْـلامِ عُمـرَ بـنِ الخَطّـاب رضـىَ اللـه عنه ، مِمّا أَغْرَى الكَثيرَ مـنَ القَبـائلِ بـالدُّخول فـى الإسْلام .

ومُنـذ أنْ أَسـلَم حَمـزَة ، نـذَرَ أن يَهَـبَ كُــلَّ قوّتــهِ وبَأسِه ، بل وكُلَّ حَياتِه لِلّهِ ولنُصرَةِ دينِ اللـهِ ، حتّى إنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم أطْلقَ عَليه لَقبَهُ الّذى عُـرِفَ به « أسدَ اللّهِ وأسَدَ رَسولِه » .

وكـانَ حَمـزَةُ أَميرًا علـى أوَّلِ سَـرِيَّةٍ خـرجَ فيهـا المُسلِمون ، كمـا كـانَتْ لـهُ أَوَّلُ رايَـةٍ عَقدَهـا الرَّسـولُ صلّى اللّـهُ عَليـهِ وسَـلَّم . وفـى يَـومِ بَـدرٍ خَـرجَ حَمـزَةُ لمُلاقاةِ قُرَيش ، وعِندما طلبَ عُتْبَـةُ وشَـيْبَةُ والوَليـدُ مـن المُسلِمينَ مـن يَخـرُجُ لمُبـارَزَتِهم ، خـرجَ لهـم ثَلاثَـةٌ مـنَ

الأنْصار ، ولكنَّهُم رَفَضوا وطَلبوا أن يَخرُجَ لُمبارزَتهم من كانوا من أَبْناء عُمومَتِهم منَ المُهاجِرين . فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم : قُم يا عَليّ . قمَ يا حَمزَة . قم يا عُبيدَةُ بنُ الحارِث .

فقاموا ، ولم تَكنْ إلاّ جَولَةٌ قَصيرَة ، حتَّى قتلَ عَليٌّ وحَمزَةُ وعُبيدَة ـ عُتبَةَ وشَيبَةَ والوَليد .

قالَ سَيف : لقَدِ اخْتاروا بأَنفُسِهم من يَقتُلونَهم .

قالَ المُدرِّس : وكانَ فيمن أُسِرَ في المَعرَكَةِ أُميَّةُ بنُ خَلَف ، فسألَ : من هذا الرَّجُلُ الّذى يَضعُ ريشَةَ نَعامَةٍ على صَدرِه ؟ فقيلَ لَه هو حَمزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلِب . قالَ : هَذا الّذى فَعلَ بنا الأَفاعيل .

* * *

ثمَّ كانتْ غَزوَةُ أُحُد ، وكانتْ امتِحانًا لِلمُسلِمينَ رسبَ فيه بَعضُ ضِعافِ النُّفوس ، وأظهرَ بعضُهُم الآخَرُ بُطولاتٍ

رائِعَة .

سألَ أحمد : ومن كانَ ضِعافُ النُّفوسِ يا أُسْتاذَنا ؟

قالَ المُدرِّس : كانَ أوَّلُهُم عبدَ اللّهِ بن سَلول ، الّذى رجعَ بثُلُثِ الجَيشِ وهم فى مُنتَصَفِ الطَّريقِ لمُلاقاةِ الأعْداء .

قالَ أحمَدُ مُستَنكِرا : ثُلُثُ الجَيش ! .. لا بُدَّ أنّه أضعَفَ بذلكَ قُوَّةَ المُسلِمين .

قالَ المُدرِّس : عِندما التزمَ المُسلِمونَ بالطّاعَةِ واليَقينِ بنَصرِ اللّه إيّاهُم ، لم يكنْ ثَمَّ (هُناكَ) ما يَحِدُّ من حَماسِهِم ، فكانَ الرَّجُلُ يُقاتِلُ بِمائَةِ رَجُل ، أمّا عِندَما عَصَى الرُّماةُ أمرَ رَسولِ اللّه ، ونَزَلوا مِن فَوقِ الجَبَلِ ليَجمَعوا الغَنائم ، فَقدِ انْقلَبَتِ الحال .

أمّا عن البُطولاتِ فقدْ كانتْ كثيرةً لا تُعدُّ ولا تُحصَى ، ولكِنّنا اليَومَ نَقصِرُ كلامَنا على حَمزةَ بنِ عبدِ

المُطَّلِب . ففى يومِ بَدرٍ قَتلَ حَمزَةُ الكَثيرينَ من صنـاديدِ قُرَيش ، قَتل لـجُبَيرِ بن مُطعَـمٍ عَمَّـه ، وقتـلَ لهنـدِ بنـتِ عُتبَـةَ أباهـا وأخاهـا وابنَهـا . فكـانَتْ مَوقِعـةُ أُحُـدِ هـى فُرصَتَهُما لِلثَّأرِ من حَمزَة ، فأمَر جُبَـيرُ بـنُ مُطعَـمٍ عَبْـدا حَبَشِيًّا له قويَّ الجسمِ اسْـمُه « وَحْشِـيّ » بقَتـلِ حَمـزَة ووَعده بإعْتاقِهِ منَ الرِّقِّ إنْ هُو قَتَلَه .. كَمَا أَغْرَتْ هِنـدُ وَحْشِيًّا بكلِّ ما تَملِكُ مـن حُلِـيٍّ ومُجَوْهَـراتٍ ، أن تَكونَ لهُ إن هو قَتلَ حَمزَة .

وبَدأتِ المَعرَكة ، وصالَ حَمزَةُ وجالَ بينَ المُشركين ، وراحَ يَضرِبُ عن يَمينِهِ وعـن شِـمالِه ، ومـنْ بَـينِ يَديْـهِ ومن خَلفِه ، وهو لا يَـدْرى أنَّ هُنـاكَ مـن يـترَبَّصُ بـه ، لِيُوَجِّهَ إليهِ طَعنَتَهُ الغادِرَة .

وجاءتِ اللَّحظةُ المُرتقَبَة ، وسدَّد وَحْشِيٌّ حَربَتَهُ نحـو حَمزةَ وأطْلَقَها ، فسَقطَ حَمزَةُ شَهيدا ، فأهْلاً بالشَّـهادَة ،

وأَهلاً بالجَنّة .

ولم تكتَفِ هِندُ بمَقتَلِ حَمزَة ، فقدْ أخرَجَت قِطعَةً من كَبدِهِ ومَضغَتْها ، ولكنّها لم تَسُغْها فلفَظَتْها .

امتَعضَ مَحمودٌ وقال : يا لَلبَشاعَة ! ما كلُّ هذا الغِلّ ؟

واستَمرَّ المُدرِّسُ في قَولِه : وتَفقَّدَ الرَّسولُ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّمَ أرْضَ المَعرَكة ، فرأى جُثمانَ حَمزَةَ وهالَه ما رَأى ، فقد شُوِّهَ بصورةٍ بَشِعَة . فنَعاهُ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّمَ بقَولِه : (رَحمةُ اللّهِ عَليك يا حمزة ، فإنَّكَ كُنتَ - كما عَلِمتُ - وَصولاً للرَّحِم ، فعولاً لِلخَيْرات) .

وأمرَ الرَّسولُ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ، أنْ يُؤتَى بجَسَدِ حَمزَةَ ويُصَلّى عَليه ، ثمَّ يُؤتَى بالشُّهداء واحِدًا بعدَ واحِدٍ ويُصلّى عَليهِ معَ حَمزَة ، حتّى إنّه صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ، صلّى عَليهِ سَبعينَ صَلاة .

قالَ مَحمود : لا بُدَّ أنَّ الرَّسولَ قَد حَزِنَ على حَمزَةَ حُزْنًا شَديدا ، أليسَ كَذلك ؟

قالَ المُدرِّس : وأىَّ حُزن! .. فقد كانَ حَمزَةُ صَديقَ الطُّفولَة ، وخَليلَ الشَّباب ، وأخاهُ فى الدّين ، فَحَلفَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ، لئنْ ظَفرنا بِهم لَنُمثّلَنَّ بهم كما مَثّلوا بحَمزَة .

وتَنزَّلَتِ الآياتُ من عِندِ اللّهِ العَفُوِّ الغفور ، الّتى تَأمرُ بالعَفوِ عندَ المَقدِرَة « ولئِنْ صَبرتُم لهو خَيرٌ لكم » . وتَنزَّلَتِ الآياتُ الّتى تُبشّرُ حَمزَةَ ومنْ مَعهُ مِن الشُّهَداء بأنَّ لَهم الجَنّة : ﴿ ولا تَحسَبَنَّ الّذينَ قُتِلوا فى سَبيلِ اللّهِ أمواتٌ بل أَحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقون ﴾ .

قالَ حُسام :

ـ قلتَ لنا يا أُستاذَنا أنَّ النّبىَّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم عفا عن وَحْشِىٍّ وهِند ، فَكيفَ حَدثَ ذلك؟

قالَ المُدرِّس : خافَ وَحْشِيٌّ عندَ فتحِ مَكّة ، أن يَبطِشَ به النَّبيُّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ، فهربَ إلَى الطّائف .. حتّى إذا أسْلَمَ أهلُ الطّائف ، فكّر أن يُهاجرَ إلَى الشّامِ أو اليَمَن . ولكنْ أخْبرَهُ بَعضُ المُسلِمين ، أنّ مُحمَّدا لا يَقتُلُ من يَدخُلُ في دينِه . فقابلَ وَحْشِيٌّ الرَّسولَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ، وأَعلنَ إسْلامَه ، فعَفا عَنه الرَّسولُ ، ولكِنّه قالَ لَه : ولكنْ لا تُرِيَنّي وَجهَكَ بعدَ الآن .. وقد كفّرَ وَحْشِيٌّ عن فَعلَتِه القاسِيَة ، فبنَفسِ حَربتهِ الّتي قتلَ بها حَمزَة ، قَتلَ مُسيْلِمَةَ الكَذّابَ صاحبَ اليَمَن .

كما جاءَتْ هِندُ بنتُ عُتْبة ، يومَ فَتحِ مكّة لِتُعلِنَ إسْلامَها وبَيْعَتَها للرَّسولِ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم . ولكنّها جاءتْ مُنَقَّبةً مُتنكِّرَة ، لِما كانَ من صَنيعِها بِحَمزَة . وتَعرَّفَ عَليْها الرَّسولُ فقالَت :

ـ أنا هِندُ بِنتُ عُتبَة ، فاعفُ عَمّا سَلَفَ عفا اللّهُ عَنك .

وقَبِلَ الرَّسولُ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم توبَتَها ، وعَفا عَنْها.

قالَ أحْمَد : هذه هيَ أخْلاقُ الإسْلام ، الَّتي يَنبَغي أنْ نعْمَلَ بِها جَميعا .

قالَ المُدرِّس :

ـ أرجو أن تَتذَكَّروا دائِما ، أنَّ العَفُوَّ هو أحَدُ أسْماءِ اللّهِ الحُسْنَى .